

**AN ANALYTICAL STUDY ON THE BIOGRAPHY OF KAAB
BIN MALIK, THE POET OF THE PROPHET'S
(PBUH) BATTLES**

دراسة تحليلية عن سيرة كعب بن مالك: شاعر غزوات النبي ﷺ

Nurul Iman Mohamad Anuar Kamal &
Nursafira Lubis Safian

الملخص

كعب بن مالك ﷺ أحد شعراء الرسول -صلى الله عليه وسلم- إضافة إلى حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة -رضي الله عنهم أجمعين-. ولم يكن كعب شاعرا فحسب؛ بل كان يخوض غزوات المسلمين مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مدافعا عن الدين الإسلامي الحنيف، حيث شارك في جميع الغزوات مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما عدا غزوة تبوك. وبناء على هذا السرد؛ ترى الباحثتان أن شعر غزوات كعب بن مالك له علاقة قوية بتاريخ الإسلام، بميزاته الخاصة، وسماته المتفردة، والتي تصلح أن تكون ميدانا رحبا لإجراء الدراسات والأبحاث العلمية عليها. لذا، تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذه الأمور كلها. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز خلفية كعب بن مالك العلمية والعملية، مع عرض شعره الوافر. وانطلاقا من هذا الأمر، تقوم الباحثتان بسرد المعلومات الموجودة؛ وأقوال الأدباء حوله، مع القيام بتحليلها. وقد توصلت الدراسة إلى أن شخصية كعب بن مالك، قد شكلتها عوامل عديدة: فقد كان من أسرة عريقة ذات مكانة مرموقة منذ الجاهلية، وازدادت رفعة بعد أن أسلمت، كما أن أباه وعمه كانا شاعرين، وأثر فيهما الشعر. أما بالنسبة إلى المحيط الجاد الذي كان يعيش فيه كعب مع الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ -خصوصا في الغزوات- فهو عامل رئيسي له تأثير كبير في شخصيته. ومن ناحية أخرى، وجدت الدراسة أن شعره قد تأثر بأسلوب القرآن الكريم وبلاغته وفصاحته. **الكلمات المفتاحية:** كعب بن مالك، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، غزوة تبوك

ABSTRACT

Kaab Bin Malik, may Allah be pleased with him, is one of the poets of the Messenger, peace be upon him, along with Hassan bin Thabit and Abdullah bin Rawwahah, may Allah be pleased with them all. However, Kaab was not only a poet but also participated in the battles

of Muslims with the Messenger (PBUH), defending the great Islamic religion, as he participated in all battles with the Prophet, peace be upon him, except for Tabuk Battle. In view of the above, the researchers agreed that Kaab bin Malik's poetry of battles is firmly relative to the history of Islam, with its special features, and unique characteristics, which can be an extensive field to conduct deep research. Therefore, this research aims to highlight all these matters. In addition, it seeks to highlight the life background of Kaab bin Malik, as well as his abundant poetry. In view of this, the researchers address and analyze the available information and the authors' writings about him. The research concluded that the character of Kaab bin Malik was shaped by multiple factors, as he belonged to a reputable family with a prestigious status since the pre-Islam era, which was boosted by converting to Islam. Furthermore, both his father and his uncle were poets, and their poetry was recorded. With respect to the serious perimeter in which he lived with the Prophet (PBUH), especially in the battles, it was a key factor that had a significant impact on his personality. Besides, the researchers concluded that his poetry was influenced by the style of the Holy Quran, as well as its rhetoric and eloquence in making his poems.

Keywords:

Kaab bin Malik, The poet of the Prophet (PBUH), The battles of the Prophet (PBUH), The Tabuk battle

المقدمة

للشعر مكانة فريدة في نفوس العرب، ولهذا نال الشعراء منزلة كبرى بين الناس باعتبارهم حاملين لواء الدفاع عن قبائلهم أثناء السلم والحرب، إضافة إلى مساهمتهم في تخليد مآثر أقيامهم جوداً وكرمًا وإباءً وحماية جارٍ، مع ذمهم أيضًا لخصومهم بالهجاء، فضلًا عن تسجيل معارك انتصاراتهم وأيامهم المعروفة، وكل هذا قد سجلته لنا دواوينهم وأشعارهم الخالدة، ولذلك فإن مكانة الشاعر عند العرب مكانة كبيرة ومرموقة، فكانت القبيلة قديمًا إذا أجاد فيها شاعرًا أقبلت عليها القبائل الأخرى تهنئتها، ثم يصنعون لهم الأطعمة والأشربة، ويحتفلون به كما في الأعراس، وقد نسب إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوله: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه" (إبراهيم: 1971).

أما في عصر صدر الإسلام، بدءًا من بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وانتهاءً بعصر الخلفاء الراشدين الأربعة؛ فقد اندفع فيه الشعراء المسلمون يذودون عن دينهم

الجديد بألستهم، كما كان الصحابة المقاتلون يذودون عن دينهم بأسلحتهم، ويمدحون النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم- والدّين الجديد، ويهجون مشركي قريش وأيامهم، فصار للشعر في هذا العصر دورٌ مهمٌ في مسيرة الدعوة الإسلامية من خلال الغزوات والفتوحات، حيث نافح الشعراء عن حياض الدعوة بالفصاحة والبيان، مع ما استقر في نفوسهم من أضواء اليقين وإشراقات النبوة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يشجع شعراء الدعوة الإسلامية باستخدام الكلمات المؤثرة، والمدعومة بكل طاقات الإيمان، حينما يواجهون أعداء الإسلام.

فكانت غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- ميداناً خصباً سار في ركابه كثيرٌ من الشعراء، وأبانوا عن مناصرتهم لدين الله والتصدي للمشركين الذين ما فتئوا يتعرضون للمسلمين بكل ما يملكون، ويدور الشعر في مختلف المواقع والغزوات التي خاضها المسلمون في الدفاع عن عقيدتهم، والحرص على نشر دعوتهم في شتى الأقطار، الأمر الذي نتج عنه شعراً وافراً يواكب تلك الغزوات، ويعبر عنها، ويستلهم المفاهيم الدينية عبر مضامين يتناولها. وهذا ما صورته الشعر في تلك الفترة التي واكبت الأحداث، وأبرزها في صورة واضحة للعيان، تعبر عن جسامه المهمة التي قام بها المجاهدون الأوائل، وما قدموه خلالها من تضحية بالنفس والنفيس. ومن بينهم شعراء غزوات الرسول -صلى الله عليه وسلم-: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة -رضي الله عنهم أجمعين-. وقد استفاد محمد هادي المباركي من قول محمد بن سيرين في كتابه عن هؤلاء الشعراء: "فكان كعب يخوفهم الحرب، وعبد الله يعيرهم بالكفر، وكان حسان يقبل على الأنساب" (المباركي: 2016).

ويعتبر كعب بن مالك -رضي الله عنه- أحد الشعراء المقربين من قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لما له من مواقف تشهد له بصدق إيمانه، حيث شارك في جميع الغزوات في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما عدا غزوة تبوك، إضافةً إلى قصته المشهورة في هذه الآية: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، سورة التوبة: الآية 118. والمقصود بالثلاثة هنا؛ كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، حيث تحلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم، وعذرهم وغفر لهم، وأنزل فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، أما في يوم أحد فلبس

كعب -رضي الله عنه- لأُمَّة النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وكانت صفراء، ولبس النبي - صلى الله عليه وسلم- لأُمَّتَهُ، فجرح كعب -رضي الله عنه- أحد عشر جرحًا. وروي أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا رسول الله، ماذا ترى في الشعر؟" فقال - صلى الله عليه وسلم-: "إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه، أترى الله عز وجل قد شكرك على قولك: زَعَمْتَ سَخِينَةَ أَنْ سَتَغْلِبَ رَبِّهَا - فَلْيَغْلِبَنَّ مَعَالِبَ الْغُلَّابِ؟". وقد حارب كعب -رضي الله عنه- أعداء الله بسيفه ولسانه، ولم يدخر جهدًا في الذود عن حياض المسلمين، حتى قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه: "أنت تحسن صنعة الحرب" (صيام: 1978م).

وانطلاقًا من هذا الصدد، تسلط الباحثان في هذه الدراسة الضوء على مسيرة كعب بن مالك، مبرزتين تجربته المتكاملة حتى تبلور مكانته في الفنون الأدبية، نظرا لقلّة الدراسات التي تتناول حياته، وثقافته، وآثاره الأدبية، وتوجهاته الفكرية تناولًا عميقًا، كما أن الدراسة الحالية ستقوم بتحليل مضمون شعره تحليلًا موضوعيًا وفتيًا. وتعتمد الدراسة على المنهجين: الوصف والتحليل، رغبة في الوصول إلى النتائج المرجوة في نهاية الدراسة.

أولاً: حياته وسيرته

اسمه ونسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب. وأبو كعب هو عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن سلمة (بكسر اللام) بن سعد بن علي الأنصاري السَلَمي (بفتح السين واللام) الخزرجي. لقب بالأنصاري نسبة إلى الأنصار، لأنهم نصرُوا النبي ﷺ وآووه، كما آووا المهاجرين (السمهودي: 1955م)، وحاز لقبه هذا بعد الإسلام (الغاني: 1997م).

أما السلمي نسبة إلى بني سلمة بن الخزرج، وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج (القلقشندي: د.ت). ينسب النحويون إلى سلمة بفتح اللام، والمخديثون يكسرونها (ابن الأثير: 1357هـ). ويفتحها النحاة والصرفيون للقاعدة النحوية التي تنص على أن المنسوب إليه إذا كان ثلاثة أحرف أو سطرها مكسور، وجب فتحه في النسب معللين ذلك بقولهم: وذلك لأنك لو لم تفتح لصار جميع حروف الكلمة المبنية على الخفة: أي الثلاثية المجردة من الزائد، أو أكثرها على غاية من الثقل بتتابع الأمثال من الياء والكثرة (الأستراباذي: 1975م). ويبدو أن المحدثين

ألقوا ياء النسب بالكلمة على صورتها المفردة في اللغة، دون أن يتنبهوا إلى قاعدة النحاة السابقة.

أما الخزرجي نسبة إلى قبيلة الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر بن السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث (الأصفهاني: 1959م) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (ابن الأثير: 1959م). والخزرج هي قبيلة يمنية، هاجرت من اليمن إلى الحجاز بعد أن تهدم سد مأرب، واستوطنت يثرب مع شقيقتها ومنافستها، قبيلة الأوس.

ولاسمه صلة بجسمه وعظمه، فالكعب في اللغة كل مفصل من مفاصل العظام، أو هو العظم الناشئ فوق القدم، أو العظام الناشزان من جانبه عند ملتقى الساق والقدم، والكعب من قناة الرمح العقدة الفاصلة بين أنبوبين من أنابيبها إذا كانت من قصب أو خيزران. والعرب لم تكن تجذ غضاضة في تسمية أبنائها بما يدل على القوة سواء أعلا الشيء أم سفل، وسواء أكان ذا صلة بالبشر، أم مشتقا من الشجر والحجر (طليمات والأشقر: 2006م).

أوردت له كتب الأدب أكثر من كنية في الجاهلية، فكان يكنى أبا بشير، فلما أسلم كناه النبي ﷺ أبا عبد الله (البلاذري: 1996م). وهناك من كناه أيضا أبا عبد الرحمن (عبد البر: 1992م)، وأبا محمد (العسقلاني: 1993م)، ويبدو أن تعداد كناه له صلة بتعدد زوجاته. فكل زوجة كانت تؤثر أن تدعو زوجها باسم ولدها، فتوحد اسمه، وتعددت كناه. ولما كان عبد الله أكبر أولاده فقد كان أحق بأبيه من سائر بنيه، ثم ثبت له هذا الحق حينما بارك النبي ﷺ هذه الكنية، ونسخ ما عداها (طليمات والأشقر: 2006م).

مولده ونشأته وأسرته

جاء كعب من أسرة خزرجية كريمة، نسب إليها المؤرخون العراقية في الشعر، ولكنهم لم يذكروا العام الذي ولد فيه الشاعر لهذه الأسرة. ومن الأخبار المتصلة بأسرته يمكن تحديد هذا العام، إذ تدل هذه الأخبار على أنه ولد قبل الهجرة بسبعة وعشرين عاما على وجه التقريب في مدينة يثرب. ويبدو أنه كانت لأسرته رفعة ومكانة مرموقة في الجاهلية، ثم

ازدادت رفعةً بعد أن أسلمت. كان لأبيه مالك شأن أي شأن في الحروب القبلية بين الأوس والخزرج، وكان لأُمِّه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة، حظ وافر من الشرف وكرم المختد.

أبوه هو مالك بن أبي كعب، وهو شاعر في أيام الأوس والخزرج. وعمه قيس بن أبي كعب؛ شهد معركة بدر، وأُثر عنه الشعر. ومن بين أبنائه؛ كان عبد الرحمن شاعراً، وحفيده: بشير بن عبد الرحمن، وعمرو بن عبد الله من الشعراء المجيدين. ومن الشعراء الحفدة الذين تحدرُوا من كعب أو ورثوا موهبته: معن بن عمرو بن عبد الله، والضحاك بن معن، ومعن بن وهب بن معبد. ومعبد هذا أصغر أولاده الثمانية (طليمات والأشقر: 2006م). أما أمه؛ فليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة (عبد البر: 1992م).

زوجاته

تزوج كعب كثيراً، وهن: عميرة بنت جبير بن سخر بن أمية، وهي من بني سلمة. وقد وهبه الله - سبحانه وتعالى - خمسة أبناء منها: عبد الله، وفضالة، ومعبد، وخولة، وسعاد. أسلمت عميرة وبايعت مع الرسول ﷺ ثم صلت إلى القبليتين. أما زوجته الثانية فمن أهل اليمن وهي صفية، ولَدَتْ كبشة زوجة ثابت بن أبي قتادة الأنصاري. والثالثة أم ولد، وقد ولدت له عبد الرحمن في عهد النبي ﷺ، ويشتهر بعبد الرحمن بن مالك الأنصاري، ويكنى أبا الخطاب. كان مُحَدِّثًا ثقة، وهو أكثر حديثنا من أخيه، وتوفي في خلافة سليمان بن عبد الملك (ابن خلكان: 1972م). والرابعة خيرة ويقال حيرة (عبد البر: 1992م)، وكان لها أولاد، ولكن لم تذكر المصادر أسماءهم، فقد روى ابن الأثير حديثاً، أنه يوجد رجل من ولد كعب بن مالك عن أبيه عن جدته خيرة امرأة كعب بن مالك. وهي أم عبد الله بن أنيس. ذكر الزمخشري أن لكعب بن مالك امرأة كانت من المهاجرات السابقات وهي غير عميرة وأم أنيس، لأنهما أنصاريتان، وغير صفية لأنها من أهل اليمن، ولعلها كانت أم ولد أو خيرة. وربما توجد له زوجة خامسة (الغاني: 1997م).

عدد أولاد كعب بن مالك ثمانية ذكور وثلاث إناث. ويقول السخاوي إن لكعب ولدا واحدا فقط اسمه سعيد. أما ابن حجر فيقول إن لكعب ولدين اسمهما محمد، ومات الأكبر في حياة النبي ﷺ. ويقول في الإصابة، أكبر أولاده اسمه عبد الله وأصغرهم اسمه معبد (العسقلاني: 1993م).

ولكعب أخوان، سهل؛ وقال ابن حبان هو صحابي. أما أخوه الآخر فهو سراقه، ولم يذكر مع الصحابة. وابن عمه لحا سهل بن قيس بن أبي كعب، شهد بدرًا وهو من الشهداء في يوم أحد.

إسلامه

أسلم كعب في صدر الإسلام الأول في المدينة، وهو من السابقين للإسلام، وأحد الأربعة من الأنصار الذين صلوا أول جمعة في المدينة، وذلك قبل هجرة الرسول ﷺ، وسوف يتضح ذلك كله في قصة بيعة العقبة، وقصة تخلفه عن غزوة تبوك. كان كعب بن مالك من أوائل الأنصار، آمن بالإسلام، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما انتشر نور الإسلام في يثرب، وأسلم كعب مع أربعين رجلاً من المسلمين، وصلى الجمعة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها.

وفاته

اختلف المؤرخون في وفاة كعب بن مالك. روى الواقدي أنه مات في سنة خمسين، وهذا قول أغلب المؤرخين المتقدمين والمتأخرين (ابن كثير: 1990م). وعن الهيثم بن عدي أنه توفي سنة إحدى وخمسين، وقال بذلك القاسم بن عدي أيضًا، وقد ذكر البخشي التاريخي، فقال: إنه مات في خلافة معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين. والقول الثالث؛ إنه مات سنة ثلاث وخمسين انفرد به البغدادي فقال: توفي كعب بن مالك في مدة معاوية سنة خمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين. وورد قول رابع يخالف ما سبق كثيرا رواه الكلبي، وهو أنه مات قبل سنة إحدى وأربعين. وقال المدائني ما يقارب هذا القول، قال إنه سنة أربعين. وذهب ابن البرقي إلى أنه توفي قبل الأربعين.

والأقوال الثلاثة الأولى متقاربة، ويمكن أن يكون أي واحد منها الصحيح، مع أن شبه الإجماع انعقد على أن وفاته كانت سنة خمسين. أما القول إنه توفي قبل إحدى وأربعين، فإن ابن كثير رد عليه بقوله: غلط الكلبي في قوله إنه شهد بدرًا، وفي قوله إنه توفي قبل إحدى وأربعين، فإن الواقدي وهو أعلم منه، قال توفي سنة خمسين (ابن كثير: 1990م). والرد نفسه بالنسبة للرأيين الآخرين. ويؤيد رأي ابن كثير ما رواه ابن أبي حاتم الرازي أن كعبًا فقد بصره في عهد معاوية.

وكما اختلف في سنة وفاته، فقد اختلف في مكانها، وأكثر الرواة على أنه توفي بالمدينة، والقول الآخر أنه توفي بالشام. وأرجح القول الأول، لأن ابنه عبد الله روى أنه كان يقود أباه بعد أن فقد بصره حين كان يخرج لصلاة الجمعة في المدينة، ونحن نعلم أنه فقد بصره في زمن معاوية، وأنه كان قد خرج من المدينة زمن علي -رضي الله عنه، فلا بد أن يكون قد رجع إليها ثانية في عهد معاوية، وقضى بقية أيامه فيها، وأغلب الصحابة كان يفضل أن يموت فيها ليجاور رسول الله ﷺ، وللأحاديث التي وردت في تفضيل الحياة والموت فيها كقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يصبر أحد على لأوائها فيموت فيها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما. وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده؛ لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه".

أما القبر الذي ذكره ياقوت في حمص على أنه قبر كعب (الحموي: 1977م) فهو كعب الأخبار، الذي مات بحمص في خلافة عثمان، كما جاء في التهذيب، وكما هو معروف لدى أهل حمص. ولم يختلف أحد ممن أرخ لكعب في أن سنه حين وفاته كانت سبعة وسبعين عاما. ولم تعثر الباحثان فيما اطلعتا عليه من مصادر على نص يشير إلى سنة مولده، ومع ذلك فيمكن تحديد ذلك على ضوء ما مر بنا من سنة وفاته وسنه. فقد أيد لنا هذا القول إنه توفي حوالي سنة خمسين، وكان عمره آنذاك سبعة وسبعين عاما، فيكون مولده قبل الهجرة بحوالي سبعة وعشرين عاما على وجه التقريب (الأغاني: 1997م).

ثانيا: جهوده العلمية

علمه وثقافته

إن القراءة والكتابة نادرة في ذلك الوقت، وقل من يعرف القراءة والكتابة، واللذان هما أساس العلم والثقافة، حيث تسود الأمية، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ)، سورة الجمعة: الآية 2. وهذا ما ميز كعب عن غيره في تلك الحقبة التاريخية، حيث كان يعرف القراءة والكتابة. ويتضح ذلك عندما جاء إليه رسول ملك غسان، حيث قال كعب:

"وكنت كاتباً" (الأغاني: 1997م). وما يؤكد سعة ورجاحة عقله وأصالته ثقافته قصته المشهورة التي تحدث فيها عن تخلفه.

أساتذته وتلاميذه

بعد دخوله الإسلام تلمذ على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإنما لنعم التلمذة، عرف القرآن والسنة من الرسول ﷺ مباشرة. وظهر ذلك في روايته للحديث، وتفسيره لآية التوبة عن طريق الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في هذا السياق. لهذا نجد ابن كثير يقول: "قد تضمن الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها"، يعني آية التوبة.

روايته الحديث

اشتهر كعب ﷺ بالشعر كما اشتهر بالعلم والحديث. فقد روى كعب عن رسول الله ﷺ ثمانين حديثاً (ابن حزم: 2003م)، وهو ثقة لدى أصحاب الحديث. يروي له أصحاب الصحاح والسنن، ومن أولاده من روى الحديث، كعبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن ومحمد وكبشة ومعبد، ووثقهم جميعاً أصحاب الحديث. وزوجته خيرة أيضاً روت الحديث، ويروي الحاكم عن عبيد الله بن كعب أنه كان من أعلم قومه. وكان عبد الله بن كعب من أعلم الأنصار، وعبد الرحمن بن كعب كان ممن يفتي بالمدينة بعد الصحابة، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب من فقهاء المدينة البارزين، وقيل إنه كان أعلم قومه وأوعاهم. ومن ذلك قال عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنه قال: "يا رسول الله، قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل" قال: "إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده ترمونهم به نضح النبل" (الأصفهاني: 1959م).

ثالثاً: أدبه وشاعريته

قال الجاحظ: "ولولا الكتب المدونة والأخبار المخلّدة، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغير الحساب، لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر" (الجاحظ: 1969م). من هذه المقولة اتضحت الأفكار، وانفتحت الأذهان، بأن تدوين الكتب وتأليفها له قيمة عظيمة، ما يجعل العلم ينتقل بين أفراد الأمة والأجيال ويتم

حفظها إلى اليوم. وتحصل الفائدة بها والنفع منها. ومن ذلك تجميع الشعر وسير الشعراء وتدوينها على مرّ العصور.

قال السيوطي عن ابن فارس في كتابه المزهري في علوم اللغة وأنواعها: "والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله ﷺ وحديث صحابته والتابعين" (السيوطي: 1998م). لذلك، بقيت أشعار، سواء من الشعر الجاهلي أو العصور الإسلامية إلى العصر الحديث، وسجّلت في كتب التاريخ والأدب والنقد حتى صارت مصدرا للباحثين والمفكرين ودارسي اللغة والأدب، لتعرفهم على أيام العرب، وحياتهم، وأنسابهم، ولغاتهم.

ديوانه

نرى من ذلك أشعار كعب بن مالك التي جمعها بعض الدارسين من نسخ المخطوطات والمطبوعات. فجاء ديوان كعب بن مالك في نسخ مطبوعة مختلفة، منها: الأولى: ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهو عميد كلية الآداب بالجامعة المستنصرية (الغاني: 1997م). هذا ديوان مطبوع، النسخة الثانية، وقام بنشرها عالم الكتب ببيروت سنة 1417هـ/1997م. وضع الكتاب ديوانه في آخر الباب لدراسته، لأن هذا البحث يتكون من الباب الأول والباب الثاني.

تحدث في الباب الأول عن الشاعر، وقسمه إلى أربعة فصول: الفصل الأول عن بيئة الشاعر، وهي المدينة، وقد تحدث عنها في الجاهلية والإسلام، لأن كعبا قضى حوالي ربع قرن من حياته في الجاهلية، وتناول في هذا الفصل بيئتها الطبيعية وتاريخها القديم وسكانها والعلاقات بينهم، والأعمال التي كانوا يقومون بها، وهجرة الرسول ﷺ إليها، وتطرق إلى المدينة في عصر الخلفاء الراشدين، ثم ختم الفصل بالحديث عن أثر ظهور الإسلام على المدينة.

أما الفصل الثاني، فبين الباحث فيه عن حياة الشاعر، فحقق نسبه، وطفولته ونشأته، ثم تحدث عن أسرته، وأبنائه وأزواجه، وأفراد أسرته، وتكلم عن كل منهم بقدر ما أسعفته المصادر. وبعد هذا تحدث عن إسلامه وجهاده مع الرسول ﷺ، وعن قصته في

غزوة تبوك، وتخلفه عنها، ثم توبة الله عليه. وتكلم عن صلته برسول الله ﷺ باعتباره من شعرائه المقربين، وختم الفصل بالحديث عن موافقه مع عثمان -رضي الله عنه-.
وفي الفصل الثالث تحدث عن فنون شعره، حيث ابتدأ بالفخر؛ لأنه أعظم الفنون من حيث الكثرة والقوة والجودة. وبعد ذلك، تكلم عن خصائص فخره، وعن صلته بالحماسة. ثم انتقل إلى مديحه، وبيّن ما امتاز به، ويوضح ما فيه من معان جاهلية أو إسلامية. وأحصى ممدوحيه، وعمل الشيء نفسه بالنسبة لهجائه، إلا أنه ألحقه بنقائضه، وتناولها بالشرح والتوضيح. وتحدث أيضاً عن رثائه بنفس الطريقة التي عالج بها فنونه السابقة.

وفي الفصل الرابع، تحدث عن خصائص شعره الفنية، وتكلم على عراقية أسرته في الشعر، وعن ألفاظه، وتراكيبه، وأثر الإسلام في كل منهما، ثم تحدث عن خياله وصوره، وعن أثر الألوان في شعره، وانتقل بعد ذلك إلى معانيه وأفكاره وما ابتكر فيهما، وما استوحاه من القرآن الكريم، والمفاهيم الإسلامية، وتكلم عن أوزانه وقوافيه، وبحر شعره، وقوافيه. وختم الفصل بمنزلته الشعرية، ومكانة كعب بن مالك بين شعراء عصره.
أما الباب الثاني، في الفصل الأول، فتحدث عن مصادر الشعر وطرق روايته، وعن منهج الجمع والتحقيق. وفي رأيه أن هذا الفصل أشد مساساً واتصالاً بعلمية الجمع والتحقيق من علمية الدراسة في الباب الأول. وهنا، جعله مقدمة أو تمهيداً لجمع الديوان وتحقيقه.

أما الفصل الثاني فجعله خاصاً بالنصوص، ورتب القصائد والمقطوعات حسب القافية بالنظر إلى قِدَم مصدر هذه النصوص. وبين عن الفروق بين الروايات، وعني بشرح ما غمض من المفردات، وتحقيق الأعلام الواردة في الشعر.

وهذا الديوان يقع في (80) صحيفة، ويضم (595) بيتاً في (75) قصيدة

وقطعة، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

| عدد الأبيات | البحور | عنوان القصيدة أو القطعة | التسلسل |
|-------------|--------|-------------------------|---------|
| 7 | الوافر | يوم بدر | 1 |
| 9 | الوافر | قصة بئر معونة | 2 |

| | | | |
|----|----------|--|----|
| 3 | الخفيف | - | 3 |
| 8 | المتقارب | يرثي رسول الله (ص) | 4 |
| 10 | البسيط | يوم بدر | 5 |
| 8 | الطويل | الرد على عباس بن مرداس حين امتدح رجال بني النضير | 6 |
| 21 | الكامل | أجاب عبد الله بن الزبيري في يوم الخندق | 7 |
| 3 | الرجز | أجاب مرحبا اليهودي يوم خيبر | 8 |
| 1 | الطويل | - | 9 |
| 3 | الطويل | - | 10 |
| 1 | الوافر | - | 11 |
| 16 | المتقارب | يرثي حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - | 12 |
| 21 | الكامل | يبكي حمزة - رضي الله عنه - | 13 |
| 24 | الوافر | يوم الخندق | 14 |
| 7 | الطويل | في يوم خيبر | 15 |
| 6 | الطويل | يرثي رسول الله ﷺ | 16 |
| 1 | الكامل | - | 17 |
| 16 | الطويل | أجاب ضراب بن الخطاب في يوم بدر | 18 |
| 5 | المتقارب | يبكي عبيدة بن الحارث من مصاب رجله يوم بدر | 19 |
| 20 | الوافر | يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف | 20 |
| 4 | الطويل | تحلفه عن خيبر | 21 |
| 2 | الوافر | يهجو أبا عامر | 22 |
| 1 | البسيط | في الرسول ﷺ | 23 |

| | | | |
|----|----------|-------------------------------------|----|
| 1 | البيسط | يخاطب الرسول ﷺ | 24 |
| 1 | الطويل | رثاء عثمان - رضي الله عنه - | 25 |
| 15 | الطويل | رثاء عثمان بن عفان - رضي الله عنه - | 26 |
| 3 | الطويل | يحرص الأنصار | 27 |
| 2 | الطويل | - | 28 |
| 3 | الطويل | يفتخر | 29 |
| 4 | المتقارب | بيكي حمزة | 30 |
| 9 | الطويل | ذي القرد | 31 |
| 14 | الطويل | نقباء العقبة | 32 |
| 49 | الطويل | يجيب هبيرة | 33 |
| 6 | الطويل | يوم الخندق | 34 |
| 2 | الطويل | - | 35 |
| 2 | الطويل | - | 36 |
| 2 | الرجز | يرد سلمة الأكوع | 37 |
| 25 | الوافر | السير إلى الطائف | 38 |
| 17 | الكامل | رثاء عثمان | 39 |
| 1 | الرجز | - | 40 |
| 6 | الطويل | يوم أحد | 41 |
| 3 | الطويل | غزوة بني لحيان | 42 |
| 23 | الكامل | يوم الخندق | 43 |
| 1 | البيسط | - | 44 |
| 2 | الطويل | غزوة بني لحيان | 45 |
| 2 | الطويل | - | 46 |
| 4 | المنسرح | غزوة السويق | 47 |
| 11 | الوافر | بيكي حمزة | 48 |
| 5 | المتقارب | في أحد | 49 |

| | | | |
|----|---------|-----------------|----|
| 23 | البيسط | يوم أحد | 50 |
| 1 | الوافر | بني قريظة | 51 |
| 19 | الكامل | قتلى مؤتة | 52 |
| 4 | الطويل | رثاء عثمان | 53 |
| 1 | المقارب | مفتخرا بقومه | 54 |
| 7 | الطويل | يوم بدر | 55 |
| 8 | الكامل | يفتخر بقومه | 56 |
| 1 | الطويل | بمدح النبي | 57 |
| 4 | الطويل | معجزات الرسول ﷺ | 58 |
| 1 | الطويل | - | 59 |
| 1 | الطويل | يخاطب أبا سفيان | 60 |
| 1 | الطويل | - | 61 |
| 29 | المقارب | في أحد | 62 |
| 3 | الوافر | بئر معونة | 63 |
| 17 | الوافر | يوم الخندق | 64 |
| 4 | المقارب | رثاء الرسول ﷺ | 65 |
| 1 | - | - | 66 |
| 8 | البيسط | رثاء عثمان | 67 |
| 30 | الكامل | قتل عثمان | 68 |
| 4 | البيسط | - | 69 |
| 1 | الكامل | مفتخرا | 70 |
| 1 | البيسط | - | 71 |
| 6 | الطويل | في بدر | 72 |
| 5 | البيسط | يوم أحد | 73 |
| 1 | الطويل | - | 74 |
| 1 | الطويل | رثاء عثمان | 75 |

مكانته الشعرية

يعد كعب بن مالك أحد ثلاثة شعراء اعتمد عليهم الإسلام في مراحلها الأولى التي نازل فيها الشرك من أمثال حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. وهناك إشارات تدل على قوله الشعري في الجاهلية كما يقول البغدادي، منها أنه في الجاهلية تحاطب بالشعر وعرف به (البغدادي: 1997م) لعمه العباس بالشاعر (ابن هشام: 1990م). وهذا يدل على مكانة كعب في مجال الشعر، فقد تجاوز المدينة إلى مكة المكرمة، وتعتبر أسرة كعب من الأسر الشعرية، فأبوه مالك بن كعب بن القين شاعر، وله في حروب الأوس والخزرج آثار، وذكر هو وعمه قيس بن أبي كعب كشعراء، وابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر، وله في كتب الأدب أبيات، وغيرهم كثير، وكلهم مجيد ومقدم (الأصفهاني: 1959م).

هذه البيئة الشعرية التي عاش فيها كعب أهلته لنيل مرتبة رفيعة في هذا المجال أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "إنك تحسن الشعر". وقد عدّه ابن سلام أحد فحول شعراء المدينة الخمسة، منهم ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس، فمن الخزرج من بني النجار حسان بن ثابت، ومن بني سلمة كعب بن مالك، ومن بني الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة. وقال عنه أيضاً: كعب بن مالك شاعر مجيد، واتفق الصفدي والبغدادي على أنه أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يردون الأذى عنه، وكان مجوداً مطبوعاً، وقالت عائشة -رضي الله عنها- الشعر؛ منه حسن ومنه قبيح، خذ الحسن، ودع القبيح، ولقد روت من شعر كعب بن مالك أشعاراً، ومنها قصيدة فيها أربعون بيتاً، ودون ذلك ويرى صاحب الديوان أن شعره متفاوت. وإن كان مجوداً في أغلبه، وعزا ذلك إلى طبيعة الموضوع نفسه، حيث يقول: فقد تجده مجوداً كل التجويد في فن من الفنون، أو قصيدة من القصائد، كما ترى في قافيته التي نظمها بعد الفراغ من حنين والتي مطلعها:

قضيئنا من تهامة كل ريب وخبير ثم أجمنا السـيوفـا

أو في لاميته التي بكى بها أصحاب مؤتة والتي مطلعها:

نام العيون ودمع عينيك يهمل سحا كما وكف الطباب المخضـل

فقد جود فيها كل التجويد، وله قرر أخرى لا تقل عنها، نما فيها خياله، ولطف أسلوبه، وأجادت لغته إلى حد بعيد، ولكن هذا لا يمنع من أن نقول إن به شعرا لا يعدو أن يكون نظما بعيدا عن الأصالة، كما نرى في عينيته التي أرخ فيها لبيعة العقبة، فجاءت مشحونة بالأعلام خلوا من الأصالة التي نجدتها في شعره (الغالي: 1997م). ويعتبر كعب من الشعراء القلائل الذين كانوا يكتبون في زمانه، وقد كتب شعراً في يوم أحد ذكر فيه أسماء النقباء، وأرسله إلى أبي سفيان وأبي بن خلف، ردًا على كتابهما إلى الأنصار بشأن الرسول ﷺ.

ولقد كان للمجهود الذي بذله بالغ الأثر، فقد جمع شعره في ديوان واحد، مما أسهم في تعريف الناس بكعب بن مالك وشعره. ووضعه في مكانه الصحيح كأحد أبرز فحول الشعراء الإسلاميين، لوضوح أثر القرآن في شعره، وما أضافه القرآن لبلاغته وفصاحته وصدقته في أسلوب النظم الشعري لديه، وأصبحت لكعب بن مالك مكانة جديدة لا تقل عن المكانة التي نالها بشهادة النبي ﷺ له بالصدق في سورة التوبة، والتي خلدت ذكره إلى يوم الدين. وعلى الرغم من سهولة شعره ولينه وقلة الغريب فيه، وجد اللغويون فيه ما يحفظ للغة أصالتها وللألفاظ فصاحتها فاعتمدوا عليه في تقرير بعض من ألفاظه استشهداً بشعره عليها.

فقد سجل له ابن منظور زهاء الثلاثين بيتاً، وأقل منه في تاج العروس، ومما روي عنه أيضاً ما ذكره المبرد في الكامل، وابن دريد في جمهرة اللغة، وابن جني في المنصف، وابن ولاد في المقصور والممدود، وابن فارس في مقاييس اللغة، وغيرهم. ومثلما أفاد من شعره اللغويون في معاجمهم؛ فقد استفاد منه الجغرافيون لكثرة المواضع التي تحدث عنها في شعره، واستفاد المؤرخون فقد ثبتوا به الحوادث والأعلام.

الخلاصة

نخلص مما تقدم إلى تقرير مجموعة من النتائج نذكر منها:

- أن كعب بن مالك ﷺ قد قدم إسهامات كبرى أفادت المجتمع العربي خاصة؛ والناس عامة، بمؤلفاته العديدة القيمة التي كان يهدف منها إلى نشر الدعوة الإسلامية.

- تأثر كعب بن مالك رضي الله عنه بالإسلام على مستوى الأسلوب بتوظيف ألفاظ وتراكيب من القرآن، وكذلك الموضوعات.
- يعد كعب بن مالك رضي الله عنه مؤرخًا في شعره، فعندما تقرأ قصائده تشعر بأنك أمام كتاب في الأدب الإسلامي، فهو يسجل المعارك وأسماءها، والوقائع وأسماء الصحابة والبطولة والشهداء، فكأن شعره أصبح سفرًا من أسفار التاريخ.
- يعتبر كعب بن مالك الشاعر الثاني بعد حسان بن ثابت من ناحية طول النفس الشعري، وغزارة الإنتاج، وفنية الأداء بين شعراء المدينة، حيث استطاع التكيف مع معطيات المرحلة والعقيدة وتطويع فنه وموهبته لخدمة الإسلام.

References

Al-Quran.

'Abd al-Bar, Yusuf Ibn 'Abdullah Ibn Muhammad. 1992. Al-Isti'ab fi Ma'rifah al-Ashab. Tahqiq: 'Ali Muhammad al-Bejadi. Bayrut: Dar al-Jil.

al-Qahirah: Dar al-Kitab al-Islami.

Al-'Asqalani, Ahmad Ibn 'Ali Ibn Muhammad al-Kinani. 1993. Tahzib al-Tahzib. Vol.8.

Al-Asfahani, Abu al-Faraj. 1959. Al-Aghani. Tahqiq: 'Abdul al-Sattar Farraj. Vol.6. Bayrut: Dar al-Thaqafah.

Al-Astrabazi, Muhammad Ibn al-Hasan al-Radi. 1975. Sharh Shafiyah Ibn al-Hajib. Bayrut: Dar al-Kutb al-'Ilmiyyah.

Al-Baladhuri, Ahmad Ibn Yahya Ibn Jabir. 1996. Jamal min Ansab al-Ashraf. Tahqiq: Suhail Zakkar & Riyad Zirikli. Vol.1. Bayrut: Dar al-Fikr.

Al-Ghani, Sami Makki. 1990. Ka'ab bin Malik al-Ansari: Sha'ir al-'Aqidah al-Islamiyyah. 2nd edition. Dimashq: Dar al-Qalam.

Al-Ghani, Sami Makki. 1997. Diwan Ka'ab bin Malik al-Ansari: Dirasah wa Tahqiq. 2nd edition. Bayrut: 'Alam al-Kutub.

Al-Hamawi, Yaqut ibn 'Abdullah. 1977. Mu'jam al-Buldan. Vol.2. Bayrut: Dar Sadir.

- Al-Jahiz Abu Uthman, ‘Amru Ibn Bahr. 1969. Al-Hayawan. Tahqiq: ‘Abd al-Salam Muhammad Harun. al-Qahirah: Matba’ah Mustofa al-Babi al-Halabi wa Auladihi.
- Al-Mubarak, Muhammad Hadi. 2016. Shi’r Ghazawat al-Nabi: Dirasah Tahliliyyah. Majallah al-‘Ulum al-Shar’iyyah wa al-Lughah al-‘Arabiyyah, Jami’ah al-Amir Sattam bin ‘Abdul al-‘Aziz, Jumada al-Akhirah.
- Al-Qalqashandi, Ahmad bin ‘Ali bin Ahmad. Nihayah al-Arab fi Ma’rifah Ansab al-‘Arab. Tahqiq: ‘Ibrahim al-Abyari. t.tp.: al-Sharikah al-‘Arabiyyah li al-Tiba’ah wa al-Nashr.
- Al-Samhudi, Nur al-Din ‘Ali bin Ahmad. 1955. Wafa’ al-Wafa’ bi Akhbar Dar al-Mustofa. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din ‘Abd al-Rahman Ibn Abi Bakr. 1998. Al-Muzhir fi ‘Ulum al-Lughah wa Anwa’iha. Tahqiq: Fuad ‘Ali Mansur. Vol.2. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Ibn al-Athir, ‘Iz al-Din Abu al-Hasan ‘Ali Ibn Muhammad al-Jazari. 1357H. Al-Lubab fi Tahzib al-Ansab. al-Qahirah: t.pt.
- Ibn al-Athir, ‘Iz al-Din Abu al-Hasan ‘Ali Ibn Muhammad al-Jazari. 1959. Al-Kamil fi al-Tarikh. Tahqiq: Abdul Sattar Farraj. Vol.6. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Ibn Hazm, ‘Ali ibn Ahmad ibn Sa’id. 2003. Jawami’ al-Sirah al-Nabawiyah. Tahqiq: ‘Abd al-Karim Sami al-Jundi. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Ibn Kathir, Isma’il ibn ‘Umar. 1990. Al-Bidayah wa al-Nihayah. Vol.8. Bayrut: Maktabah al-Ma’arif.
- Ibn Khallikan, Shams al-Din Ahmad Ibn Muhammad Ibn Ibrahim al-Shafie’. 1972. Wafayat al-A’yan wa Anba’ Abna’ al-zaman. Vol.5. Bayrut: Dar Sadir.
- Ibrahim, ‘Abd al-Rahman Khalil. 1971. Dawr al-Shi’r fi Ma’rakah al-Dakwah al-Islamiyyah: Ayyam al-Rasul. Algeria: al-Sharikah al-Wataniyyah li al-Nashr wa al-Tauzi’.
- Siyam, Zakariya ‘Abd al-Rahman. 1978. Al-adab al-‘Arabi fi al-‘Asr al-Jahili wa Sadr al-Islam. al-Qahirah: Dar al-Nasr li al-Tiba’ah al-Islamiyyah.
- Tulaimat, Ghazi, al-Ashqar ‘Irfan. 2006. Al-Shu’ara fi Asr al-Nubuwwah wa al-Khilafah al-Rashidah. Dimashq: Dar al-Fikr.

Nurul Iman Binti Mohamad Anuar Kamal

Department of Arabic Language and Literature

*Abdulhamid Abusulayman, Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge
and Human Sciences,*

International Islamic University Malaysia (IIUM)

Gombak, 53100, Kuala Lumpur, Malaysia

Email: nurulimananuar@gmail.com (Corresponding Author)

Dr. Nursafira Lubis Safian

Department of Arabic Language and Literature

*Abdulhamid Abusulayman, Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge
and Human Sciences,*

International Islamic University Malaysia (IIUM)

Gombak, 53100, Kuala Lumpur, Malaysia

Email: nursafira@iium.edu.my